عروض موقعة

- الزمان والمكان فى الشعر الجاهلى
- الحنفية: دين إبراهيم عليه السلام ودين كل المسلمين
- ثورة المعلومات فــى الصــين : ادارة التحــول الاقتصـــادى والاجتماعى

الزمان والمكان فى الشعر الجاهلى

باديس فوغالى.
الزمان والمكان فى الشعر الجاهلى/
باديس فوغالى .- الأردن : عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٨.
٣٣٢ص.

د. قطب عبد العزيز بسيونى
كلية اللغات والترجمة
جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا

تمهيد

إن المتأمل فى الشعر العربى القديم يجد أن ثمة علاقة بينة تربط بين الشاعر وبيئته، وتتخذ من عنصرى الزمان والمكان مرتكزًا أساسيًا يكسب هذه العلاقة صيغة خاصة، وقد تتعمق هذه العلاقة وتتوطد، فتتحول إلى رؤية تختزل التصور العام للكون والحياة وفق منظور معين.

وللمكان سحر خاص يولد فى الأديب إحساسًا متميزًا يجعله منتشيًا كلما لامست وجدانه جانبًا من ذلك المشهد المكانى الغائر فى أعماق ذاكرته. وهو الأمر الذى كان يدفع الشاعر القديم الى قطع الصحارى الموحشة، والبرارى المقفرة على ظهر راحلته، متكبدًا مشقة السفر والترحال ليعيد نظره، ويسبح ببصره فى أرجاء أطلال ذاهبة الملامح. إذ يقف الساعات الطوال، يعيد بتأملاته الشعرية مسرحًا كان حافلاً بالحياة والحركة، فيطيل التوحد بالمكان، وكأنه فى حالة تعبد.

لقد كان الشاعر الجاهلى وهو يقف محاورًا الأشياء والأماكن فى مطالع قصائده فى لحظات التذكر والاستعادة للماضى يسعى إلى إعادة بناء علاقته مع تلك الأماكن ، لاستحضار بعض تفاصيلها ، وذلك بقصد ما تنطوى عليه من قيم ودلالات وجودية وفلسفية تساعده على الانسجام مع ذاته، وخلق التواصل بين حاضره وماضيه.

من هذه العلاقة المرتبطة بالماضى فى تبدده، وبالحاضر فى تغيره ارتبطت القصائد الجاهلية بتجربة الشاعر الإنسانية، إذ تحولت من مجرد وقفات تأملية استجابة للتقليد الفنى الشائع إلى حقيقة وجودية تعبر عن جملة من الآراء و المواقف، وتترجم الأحاسيس التى يعيشها الشاعر بكيانه ووجدانه وعقله إزاء الحياة والموت.

فى ضوء هذا التصور تصير العلاقة بين

الشاعر والطلل علاقة جوهرية قائمة على الزمن فى أبعاده ومستوياته الثلاث الكبرى ابتداء من ماضٍ بائد، إلى حاضر مائل، فمستقبل غائب مشرب بالضبابية والغبش.

الزمن والشاعر

يرى المؤلف أن إدراك الشاعر الجاهلى لمفهوم الزمن يتمحور حول نقطتين: إدراك حسى، وهو الذى يمر من خلال التأمل العقلى، وإدراك وجدانى، وهو الإحساس بالزمن فى وقعه على وجدان الشاعر، ومن هذين المحورين جاءت تجارب الشعراء.

فزهير بن أبى سلمى عبر عن إدراكه للزمن مغلبًا عقله بعد أن عركته الحياة بهمومها وانكساراتها؛ ولهذا فهو يحيل المسائل المصيرية فى حياة الفرد والجماعة إلى العقل ؛ لأن العقل وحده هو القادر على إجلاء الحقائق الجوهرية ، ووسم القضايا بطابعها الموضوعى . كما أنه كان يتعامل مع مشكلات عصره بصوره تجعله طرفًا أساسيًا فاعلا فى المشكلة يتعال معها، بكل مداركه ويسعى دؤوبًا إلى فصل النزعات.

فقد كان وراء إشاعة السلم بين القبائل العربية من خلال مدحه للحارث بن عوف وهرم بن سنان اللذين صارا أنموذجًا لإحلال الوئام بين الأطراف المتناحرة، والارتقاء بذهنية الأخذ بالثأر المتوارثة تحجرًا وعنادًا إلى معالجة المشاكل بطريقة سليمة هادئة؛ لأن منطق القوة والرد بالمثل ينخر الحياة الاجتماعية، ويجعل الفرد متوتر الشعور باستمرار إزاء الزمن، وتحول الأشياء؛ لأن عقله وكيانه مأسوران باللحظة الحاسمة التى قد تصنع حدًا لزمنه أو تمدده قليلاً إلى حين.

إن زهير بن أبى سلمى قد وعى هذا الإحساس، وحاول بكل جهوده ترقية السلوك الإنسانى فى أبعاده الاجتماعية والنفسية والحضارية إلى مستوى إدراك المعانى الحقيقية الملموسة لأبعاد السلم والمصالحة مع الذات والآخرين فى تناغم إنسانى مشترك طالع من الأعماق.

إذ ليس من السهل إقناع مجتمع قبلى واستيعاب منطق السلم والمصالحة والدخول فى تفاوض بتحكيم العقل مع الآخرين، وهو بهذا مدرك تمامًا لحقيقة الزمن بأنه أبقى من الإنسان.

يقول فى هذا المعنى، وقد شعر أن من هم حوله لا يشاركونه رؤيته التصويرية للكون، والمصير الذى يترقب الإنسان متسائلاً إن كانوا يرون ما أرى.

ألا ليت شعرى هل يرى الناس ما أرى
من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا؟

ثم يشرع فى تجزئة نظرته للكون التى وضعت بصيرته على تلمس الكثير من الحقائق التى اكتسبها من طول المران، ومغالبة المحن والنوائب فى حياته ملخصًا إياها فى معادلة بسيطة مؤداها أن الفناء

يترصد حياة المرء، ولا بد يومًا عائد إلى حفرة تكون مستقرًا له، تلك نهاية الإنسان، أى نهاية الشاعر نفسه الذى عجز عن استرداد ماضيه بعد أن غالبه الشيب وتقدم به السن نحو أرذل العمر، وهو فى هذه الحالة من العجز يسلم بسطوة الزمن فلا هو قادر على إعادة ماضيه الجميل، ولا هو قادر على استشفاف ما يخبئه له الدهر.

يقول فى هذا المضمون:

بدا لى أن الله حقٌ فزادنى
إلى الحق تقوى الله ما كان باديا
بدا لى أن الناس تفنى نفوسهم
وأموالهم ، ولا أرى الدهر فانيا
أرانى إذا ما بت بت على هوى
وأنى إذا أصبحت أصبحت غاديا
إلى حفرة أهدى إليها مقيمة
يحث إليها سائقٌ من ورائيا
بدا لى أنى لست مدركًا ما مضى
ولا سابقًا شيئًا إذا كان جائيا

وبعد أن يشير إشارة اليقين إلى خلود الجبال والرواسى وفناء الإنسان، مستشهدًا بهلاك تُبَّع ولقمان بن عاد، وذى القرنين، وفرعون، والنجاشى، وكل العظماء فى الحكمة والبغى والثراء ينتقل بالحديث إلى سرد ما وقع للنعمان بعد أن كان يرفل فى العز والجاه، مما يدل على أن المرء ليس فى معزل عن الخوف، وأنه معرض فى أية لحظة من لحظات حياته إلى هذه النوائب.

يخاطب الملتقى فى يقين، فيقول:

ألم ترَ للنعمان كان بنجوة
من الشر، لو أن أمرًا كان ناجيا
فخيرُ منه ملك عشرين حجة
من الدهر، يومُ واحدُ كان غاويا

ثم يستحضر بعض المشاهد من مواقفه ومآثره فى الكرم والسخاء، والتى لا تحصى ولا تعد؛ وهو بهذه الشواهد يضع المتلقى فى جو من التضحية والتوجيه لتفادى الوقوع فيما وقع فيه الآخرون أو الاتعاظ بهذه المعانى التى لا ترتبط بزمان ومكان معينين، بل تصلح لكل وقت فهى قيم إنسانية خالدة، تموت ولا تموت، تفنى الأشياء وهى تظل حية لا تفنى.

إن هذه الأبيات تصلح لأن تكون نشيدًا أزليًا فى رثاء الإنسان، ومع الشحنة الإنسانية التى طبعت هذه المرثية نلمس التقابل الوظيفى فى استخدام الشواهد. فالشق الأول منها يرتبط بالماضى وما ضم فى طياته من حيوات أناس عرفوا بقوتهم وتفوقهم.

أما الشق الثانى فيضعنا مباشرة أمام مشهد معاصر أو قريب من العصر، وهو الحال الذى آل إليه النعمان.

لقد نجح الشاعر فى القبض على طرفى الزمن إذ جعل الآفل منه فى خدمة الحاضر ،

وهى تقنية قلما يفطن إليها الشعراء إلا من عركته الحياة بتقلباتها، ومنحه طول العمر أسرار التوجيه الإنسانى فى قالب تمثيلى مستمد من الحقائق التاريخية والأحداث العظمى للمسيرة البشرية

ولأن الإحساس بالفناء شعور أزلى خامر الإنسان منذ القدم؛ لذلك تجد الشاعر الجاهلى قد عمد إلى الوقوف على الأطلال والبكاء بحرقة وألم على الماضى الجميل ، والذكريات المليئة بحلاوة الصبا فى مرابع الطفولة، ووهج الشباب استجابة لهذا الشعور.

وكمثال نجد الشاعر عدى بن زيد العبادى قد وعى هذه الحقيقة، ولخص فى قصة بسيطة المآل الذى يؤول إليه الإنسان فى النهاية.

رب ركبٍ قد أناخوا عندنا
يشربون الخمر بالماء الزلال
والأباريق عليها فدم
جياد الخيل تردى فى الجلال
عمروا دهرًا بعيشٍ حسنٍ
آمنى دهرهم غير عجال
ثم أضحوا أخنع الدهر بهم
وكذاك الدهر يودى بالرجال
وكذاك الدهر يرمى بالفتى
فى طلاب العيش حالاً بعد حال

تنطوى هذه الصورة بالرغم من بساطة معانيها المنسوجة فى رداء لغوى قريب المأخذ على اختزال حقيقة كونية وعتها البشرية منذ فجر التاريخ، إنها حقيقة الفناء، فكل شيءٍ يفنى ويزول إلا الزمن وحده يبقى عاتيًا تصرفه قدرة الخالق.

طلبًا لهذا المعنى عمد الشاعر إلى تشكيل الصورة الشعرية السابقة، مستثمرًا معارفه الدينية وإلمامه بمختلف الحقائق التى تحيل إلى عدم الخلود، حيث مثل حقيقة الفناء بأناس وجهاء نهلوا من معين المتع والملذات حتى الثمالة، وفجأة ودون سابق إنذار رحلوا عن هذا الوجود، وكأن لم يكن لهم شيء يذكر، لقد عصف الدهر بهم الواحد تلو الآخر، ولم تشفع لهم وجاهتهم، ولا ثراؤهم، ذهبوا جميعًا ولم يبق أثر لأى واحد منهم، وذلك فى إشارة من الشاعر إلى يقينية الفناء التى استلهمها من مرجعيته المسيحية وتكوينه الدينى.

ومن النماذج التى تعبر عن استسلام الإنسان للزمن بحكم ضعفه الذى لا يؤهله إلى إدراك ما تخبئه له الأقدار قول قس بن ساعدة.

فى الذاهبين الأولين
من القرون لنا بصائرْ
لما رأيت مواردًا
للناس ليس لها مصادرْ
ورأيت قومى نحوها
تمضى الأكابر والأصاغرْ
لا يرجع الماضى إلينا

ولا من الباقين غابرْ

أيقنت أنى لا محا

لة ، حيث صار القوم صائرْ

إن تجربة الشاعر فى الحياة واطلاعه على أخبار الغابرين من خلال ما وصل إليه عن طريق المصادر الدينية، وما عرفه فى ديانته المسيحية أكسبه قدرة عقلية جعلته يعى وجودية الإنسان وهشاشة هذه الحياة أمام حقيقة الفناء الذى يتهدد كل موجود، فيقر وهو فى كامل وعيه بمسألة فناء الإنسان منذ الأزل مسترشدًا فى إدراك هذه الرؤية بمن سبق من أسلاف وأقوام بادروا جميعهم ولم يبق واحد منهم، كذلك يعرف مصيره هو، فلا ميل لسنة الله فى الكون، وكل من فيها فانٍ وذاهب إلى مصيره.

أما طرفة بن العبد فعلى الرغم من صغر سنه ومحدودية تجربته الحياتية نجده يحتذى حذو شعراء الخبرة العميقة فى رؤيته للزمن، وقد يكون سلوك الجحود والتهجم وكذا سوء المعاملة التى عانى وطأتها من قبل أبناء عمومته إحدى العوامل التى أوصلته إلى إدراك مغزى الوجود على نحو يفلسف حتمية المصير الواحد للبشرية ولو اختلف الناس فى الأعمار وفى الجاه والسلطان.

يقول فى هذا المعنى:

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى

لكا لطول المرخى وثنياه باليد

متى ما يشأ يومًا يقده لحتفه

ومدريك فى حبل المنية ينقد

أرى قبر نحامٍ بخيل بماله

كقبر غوىٍّ فى البطالة مُفسد

أرى العيش كنزًا ناقصا كل ليلة

وما تنقضى الأيام والدهر ينفد

إن التأكيد على حتمية الموت وسقوط المرء لا ريب فى شراكه مهما عمر ليعكس رؤية الشاعر الواضحة إزاء ما يترصد حياة البشر. كما يشخص الشاعر فنياً سطوة الموت ومقدرته على اختطاف الحياة متى شاء، فالإنسان بين يديه مخلوق ضعيف يمنحه ما يشاء من أيام، ومتى يحين أجله ما عليه إلا أن يشد الحبل فيقع بين يديه صريعًا؛ ولذلك لا يرى تميزًا بين قبر البخيل الحريص على تخزين ماله وقبر الضال الذى يتلف كل ما تملك يداه ، فكلاهما مآله القبر تعلوه حثوة من تراب؛ ولذلك فالتمايز بين الناس ينعدم بعد الموت، فكلهم يستوون حسب رؤية الشاعر.

لقد توحدت لدى الشعراء رؤية الموت والتسليم به، ولكنها تختلف من شاعر إلى آخر من حيث طريقة التعبير عنها وفقا لخصائص تنشئة كل شاعر، وتبعًا لقدراته النفسية والعقلية. من هؤلاء عنترة بن شداد الذى يتصور الأمر طبيعيًا عندما تلوح ملامح الحتوف فى الأفق منذرة الهلاك، والعادة أن يشعر المرء بالخوف من الموت عندما يقف على ضفافه وهو يصارع الأعداء فى مواجهة حامية. وقد تتفاوت درجة هذا

الإحساس من مقاتل إلى آخر، لكن الشاعر يعيش إحساسًا آخر يزوده لا بالخوف، وإنما برغبة كبيرة فى مواجهة الموت ويدفعه قدمًا قبالة الكر والإقدام.

يقول مصورًا هذا المشهد:

بكرت تخوفنى الحتوف كأننى
أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها إن المنية منهلُ
لا بد أن أُسقى بكأس المنهل

إن الشاعر كما هو واضح فى حالة استسلام للموت، وما دام الموت حتمية لا مفر منها فقد هضم هذه الحقيقة، إذ صار لا يهابه ولا يرهبه، بل يعده إحساسًا راقيًا يعكس المستوى العقلى الذى كان يتمتع به الشاعر الجاهلى، فقد كان شاعرًا وفيلسوفًا معًا، فيلسوفًا من طراز خاص، إذ لم تكن فلسفته نظامًا أو مذهبًا أى أنها لا تقدم العلم فى مجموعة من العلاقات المنطقية والعقلية، بل تقدمه فى توهج الحدس والرؤية.

إن رؤية الشعراء الجاهليين للحياة والموت تكاد تكون واحدة ، يمكن اختزالها في يقين حقيقة الفناء وتصرم الأشياء، فقد تطول حياة المرء ولكنه في النهايه مقهور بالزمن.

المكان فى التجربة الشعرية الجاهلية

إن المتأمل فى الشعر الجاهلى يجده شعر شهادة يعكس حياة الفرد الجاهلى المتمسك ببيئته الصغيرة المحدودة فى القبيلة، فهو شعر مستمد من الطبيعة الماثلة أمامه، يتفاعل مع مظاهرها كما يتفاعل مع أى شيء خارجى.

إن طبيعة الحياة التى كان يحياها الجاهلى فى أعماق جزيرة العرب كانت دافعًا اضطراريًا لأن يرتبط مصيره بالحل والترحال وتعقب مساقط المطر ومنابع الماء، إذ ظل هذا المطلب على مر السنين محل تنافس بين القبائل العربية مما جلب لهم مآسى الحروب والمداهمات؛ ولذلك ظل المكان عالقًا بفكر وخيال الشاعر، فكلما شعر بالحاجة إلى إفضاء مشاعره حول موضوع ما يشغل باله صدّره بوقفة طللية، وكأنه بهذا السلوك الشعرى يتخذ من الأطلال متكأ تأثيثيًا لكل انشغال يشغله.

لقد صور الشاعر الجاهلى المكان تصويرًا ماديًا ورمزيًا: ففى الجانب الأول نراه يصف الصحراء وصفًا دقيقًا فى رغدها وأمطارها وجمالها وهوائها ونسيمها وحيوانها وقسوتها وقحطها ويبابها وأطلالها .. كل هذه المفردات شخصها فى حركة، وأنسنها فى صور بديعة ناطقة، ثم انثنى إلى وصف مشاعره نحوها وارتباطه النفسى بشخوصها؛ فتحولت إلى رموز من ذاته، وقطع من نفسه، وصور لوجوده.

لقد افتخر النابغة بالمكان الذى جمع منازل قومه مؤكدًا على أهميته ودوره فى المحافظة على الأنفس واتقاء شر الأعداء،

حيث إن أعراضهم مصونة وشرفهم باقٍ لا يصاب بخدش أو مكروه، فيصور المنازل التى يتمتع بها قومه والتى يشبهها بالجبل الشامخ الذى يصعب على التيوس البرية إدراك قيمته فكيف لغيرها من بنى البشر الذين يجيدون تسلق القمم.

كما تجد الخنساء تعتز وتفتخر بخصوبة أراضى قومها حيث تتوافر فى ربوعها الحياة الرغدة والعيش الكريم، وفى أرجائها تحلو الإقامة والاستقرار. وكذلك فعل عامر ابن الطفيل بأرضه حيث يتمتع قومه "قيس عيلان" بأرض خصبة واسعة يجب عليهم التمسك بها، ولا يرضون عنها بديلاً لما تسخو به عليهم من خيرات ونعم.

وبما أن الماء جزء من المكان وله أهمية قصوى فى الصحراء القاحلة فقد أولاه الشاعر الجاهلى اهتمامًا بالغًا؛ لذلك نجد "الأخنس بن شهاب التغلبى" الذى عرفت قبيلته أعظم الحروب وأشرس المواجهات بين بنى جلدته تارة، وبينهم وبين غيرهم تارة أخرى من أجل الاستماته على الأرض. والمحافظة على الثروة المائية قد يشبع بروح الزهو والخيلاء، وكان مصير قبيلته مرهونًا بمدى استحواذها على الأماكن الخصبة، فيقر مفتخرًا أن لا حدود تمنعهم من تتبع مساقط الغيث، ولأجل هذا المطلب الاستراتيجى نمت خيولهم واعتنوا بصيانتها فتكاثرت وملأت وجه المراعى. وهو يشير بذلك إلى عز قبيلته وقومه التى تتحرك بحرية فى كل مكان.

أما حسان بن ثابت فقد تحدث عن ديار سلمى فى سياق الافتخار، واسترفد كل معانى الانتماء والارتباط بالمكان، وواضح من قصائده أن ذكريات الديار قد علقت بذاكرته مما كشف عن حالاته النفسية ومعاناته حين استذكر تلك الديار، فهى معلومة وقائمة للعيان، كما أنها ممزوجة بالرمزية الغموض الذى نراه عادة فى الشعر الجاهلى، إضافة إلى كونها لم تأتِ فى سياق التوجع والتحسر على الماضى، وإنما جاء ذكرها فى سياق الاعتزاز والفخر، فالزمن لم يقو على هدمها وطى معالمها الكبرى كما يحدث عادة للديار الأخرى بفعل التقادم وتعاقب مؤثرات الطبيعة عليها، بل ما زالت قائمة بكل قسماتها بين البساتين تنطق سيماتها بالرفاهية وحسن السمعة. إن ذكر الديار صراحة أو فى صورة الطلل ينطوى على بعدين: البعد الأول يتمثل فى رغبة الشاعر فى الاستقرار بين أحضانها والتمتع بحياته، والبعد الثانى تجتمع عوامل الانقراض والهدم والزوال، وكل العوامل التى تحول معنى الحياة وروضها إلى طلل مقفر تجعله موطن غربة وخراب تعمره الوحوش والحيونات البرية.

فإذا كان الشاعر حسان بن ثابت يشيد فى هذه الأبيات بالمكان وصموده أمام غوائل الزمن من خلال السياق العام للقصيدة فإنه يشيد فى الوقت نفسه بذاته ويعتز بمكانة قومه ومنزلتهم بين القبائل العربية الأخرى.

إن الشعور بالولاء إلى المكان فى البادية نجده يلاحق الشاعر فيحمله همًا انتقائيًا فى عقله وفى وجدانه أينما استقر به المكان فى البادية أو فى الحاضرة؛ لأن الذى يحرك فى داخله كوامن الزهو والاعتزاز بالمكان هو الشعور الدائم بالأمان.

وقد يرتبط المكان عند الشاعر بغريزة الرثاء وبخاصة عندما يشعر الشاعر بافتقاده المكان وتبخر ما كان يجتمع فيه من سؤدد ووجاهة وخير عميم لسبب من الأسباب، عندما يتحول من حضور ماثل بكل التفاصيل إلى مجرد جثة مسجاة لماض ولى وأدبر.

والمكان فى وعى بعض الشعراء رمز للتكيف مع المعطيات النفسية والاجتماعية والوجدانية، كذلك كان رمزًا للفخر والتملك وبسط النفوذ، كما يغدو رمزًا للأسى والتوجع والتفجع على ما مضى من جميل الأيام.

وهذا عبيد بن الأبرص يرثى المكان الذى ضمن قومه الذين قهرهم المنذر بين ماء السماء وأجلاهم عنه، فاالديار عنده محل اتحادهم وقوتهم وعزهم ومصدر فخرهم، وهو يبكى المكان كما يبكى قومه الذين أصابتهم الفرقه والتشتت، وكذلك فعل جابر بن حنى التغلبى حين كشف عن حزنه على ما وقع من فرقة وتشتت بين بنى قومه التغلبيين وقد كانوا يرفلون فى العز والجاه تهابهم القبائل بسبب ما كان يجمعهم فى اتحاد فى الرأى وفى الموقف، فيتأسى الشاعر للحال الذى آل إليه قومه من ضعف وخذلان مذكرًا بالأماكن التى كانت محل اتحادهم وقوتهم. هذه الأماكن التى بالكاد عرفها حين وقف على جنباتها، بل وشعر أنه ضيف عليها تعبيرًا لا شعوريًا منه عن الحسرة

بهذا الإحساس نشعر كأن الشاعر صار غريبًا عن الديار، ولم يعد من أهلها، فقد داهمه شعور بالغربة جعله يحس أنه ضيف عابر، وأن الماضى الذى كان ملگًا لقومه لم يعد كذلك؛ فلأ جل هذا الإحساس بكى على ملامح عتباتها.

الشاعر يرثى إذن الحالة التى صار إليها قومه، ويرثى تلك الأيام الجميلة الخالية التى كانت تجمع كلمتهم وتوحد صفوفهم، وتجعل منهم قوة هائلة للهيبة من خلال استدعاء هذه الأماكن التى صورها فى شعره.

إن هؤلاء الشعراء قد أبدوا صراحة تمسكهم بالأمكنة التى كانت شاهدة على سعادة أقوامهم، وتلاحم أفرادها فى ظل الانسجام والولاء لمواطن الإقامة التى جمعتهم، وذلك بالإشارة تارة إلى ما كانت توفره لهم من رخاء واستقرار وعزاء، وتارة أخرى بالتلميح إلى ثائرات الغضب التى أدت بهم إلى جحيم الفرقة والتمزق.

إن الشاعر الجاهلى حتى وإن بدا مهملا قبيلته ومنبوذًا من طرف أفرادها لسبب من الأسباب فإنه يظل مرتبطًا بجذوره فى المكان، ولعلنا نجد فى صرخة الشنفرى وقد امتلات جوانحه بمشاعر الجور والقهر مَا

يؤكد هذه الحالة، إذ رغم احساسه بالدونية وسط عشيرته التى تبنته ورغم وعيه بالمهانة والمذلة التى كان يقابل بها من أهله إلا أننا نستشعر إحساسه العميق إلى قومه ومكان عشيرته.

وما نكران الشاعر لبنى عشيرته واستبداله بهم المجتمع الحيوانى إلا معادل فنى لملء هذا الفراغ النفسى الذى كان يشعر به وإتمام النقص الذى كان يعانيه.

يقول فى مطلع لاميته الشهيرة :

أقيموا، بنى أمى، صدور مطيكم
فإنى إلى قوم سواكم لأميلُ
وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى
وفيها، لمن خاف القلى، متعزَّلُ

ولى دونكم أهلون: سِيد عملى
وأرقط زهلولُ، وعرفاء جيألُ
هم الأهل، لا مستودع السر ذائع
لديهم ولا الجانى بما جر يخذلُ

وفى ضوء ما تقدم نستشف أن الشاعر الجاهلى قد تعصب لقومه ولبيئته المكانية بما تشمله من ماء ومراع وحمى، فاخر بمكتسبات قومه وكأنه يقوم باحترام تأدية وظيفة اجتماعية موكلة إليه، بحكم شاعريته وقدرته على تمثيل قومه فى كل الظروف والملابسات.

وهو الموقف الذى جعل الشاعر الجاهلى يرتبط بالزمان والمكان ويتشبث بكل ما تنطق به بيئته .